ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Dr. Iman Farhan Kazem
Wasit University / College of Education for Human Sciences
Email: ekazem@uowasit.edu.iq

Keywords: secret virtues, critical analysis, analytical text

ARTICLE INFO

Article history:
Received 24Apr 2025
Accepted 29May 2025
Available online 1 Jul 2025

CC BY

The Merits of the Secret Virtues Extracted from the Apparent Biography: A Study in Historical Criticism

Abstract:

The books, biographies, and historical writings that addressed the figure of Sultan Baybars have been numerous and diverse. This is due to his status as a sultan destined for many significant victories and immortalized in history as a triumphant and powerful leader. Many writers exaggerated in portraying him as a legendary, almost mythical figure because of his victories over the Mongols and the Crusaders and his triumphs over his enemies. However, only a few historians approached the personality of Baybars with neutrality and without exaggeration, chief among them was Shafiʿ ibn ʿAli, who stripped away the glorified image and halos surrounding the Sultan and presented the facts without alteration or distortion. This approach is essential for researchers and historians alike. Several factors enabled Shafiʿ ibn ʿAli to write with such fairness and objectivity. One key factor was that he wrote his account after the death of Sultan Baybars, thereby removing the pressure and fear of the Sultan's anger or that of his court. Moreover, many authors who wrote about prominent figures were motivated by material gain or the desire to win the favor of their subjects. Shafiʿ ibn ʿAli was not bound by such motives, allowing him and his family to write freely and without flattery. Here, the role of the researcher emerges in highlighting these texts and demonstrating their significance, particularly since they preserved for us an important period of Islamic history, both due to its long duration and vast geographical span. Additionally, Shafiʿ ibn ʿAli focused on events that had been largely neglected by other historians, which is why he referred to them as "secret" virtues.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.4425

الملخص

تنوعت وتعددت الكتب والتراجم والسير والمؤلفات التي تناولت شخصية السلطان الظاهر بيبرس وذلك كونه من السلاطين الذين كتب لهم القدر العديد من الإنتصارات المهمة , وخلده التأريخ بصورة السلطان الفاتح والقوي , وبالغت الأقلام بوصفه شخصية أسطورية خيالية لإرتباطه بالإنتصار على المغول والإفرنج والتغلب على أعداءه , وقلة من هؤلاء المؤرخين من تناول شخص بيبرس بحيادية وعدم مغالاة , وعلى رأسهم شافع بن علي الذي أزاح الأطر والهالات عن صورة السلطان وبين الحقائق دون أي تغير أو تحريف وهذا العامل مهم وأساسي للباحث والمؤرخ , وقد مكنته العديد من الوسائل للكتابة بتلك الحيادية والإنصاف ومنها أنه قد دون كتابه بعد موت السلطان الظاهر بيبرس وبالتالي زوال عوامل الخوف من غضب السلطان وحاشيته , فضلا عن أن أغلب من ألف لشخصية معينة الغاية وراء التأليف هو الكسب المادي وكسب الرضا من الشخص المقصود والمؤلف له , وهذا العامل أيضا لم يقيد شافع بن علي وأهله للكتابة دون تزلف , وهنا يأتي دور الباحث بإظهار تلك النصوص وبيان أهميتها لا سيما وإنها قد حفظت لنا فترة مهمة من فترات التأريخ الإسلامي لطول المدة الزمنية والرقعة الجغرافية فضلا عن أنه ركز من خلال العنان على الأحداث التي لم يتطرق لها المؤرخين ولهذا أطلق عليها مفردة (السرية) .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الكلمات المفتاحية : المناقب السرية , التحليل النقدي , النص التحليلي

المقدمة

تعد دراسة النقد التأريخي من أهم الدراسات وأندرها , لا سيما في تخصص التأريخ الإسلامي, فعلى الرغم من وجود محاولات نقدية من الباحثين إلا أن هذا المجال بحاجة إلى دراسات وتعمق في البحث وذلك من أجل الوصول إلى الحقائق وكشفها من خلال المقارنة والإستنتاج و بالإعتماد على الأدلة والإثباتات لتفسير الأحداث , ألف الكتاب تخليدا لسيرة الظاهر بيبرس الذي يعد المؤسس الحقيقي لدولة المماليك صاحب الفتوحات الكثيرة والإنتصارات على المغول والفرنج والصليبيين , فضلا عن كونه يعد محي الخلافة العباسية بعد إنهيارها في العراق وعاصمته بغداد مريدا بذلك إضافة صبغة دينية وشرعية لحكمة ومحاولة منه في تقريب رجال الدين من الفقهاء والعلماء , ولهذه الإنجازات والتواريخ الفاصلة غلبت على السيرة الحقيقية العديد من القصص الخيالية المحشوة بالمبالغات والتهويل والأكاذيب , ومن هنا يبرز أهمية كتاب حسن المناقب السرية , عمد المؤلف على إضافة مفردة (سرية) لافتا ومشيرا إلى قضايا قد أخفاها المؤرخون وتستروا عليها , ويعد الكتاب ورقة كشف بالأدلة المثبتة زمانا ومكانا عن العديد من الأحداث الخاصة والعامة بحياة السلطان بيبرس .

يرجح أن البحث أصيل وغير مدروس سابقا ولبيان أهمية الكتاب الذي يكاد غير معروف لدى الباحثين فضلا عن أهمية بما يحمله من حقائق تأريخية فضلا عن أن مادة الكتاب وكما موضح من عنوان المؤلف قد إنتزعها من كتاب إبن عبد الظاهر عن سيرة السلطان بيبرس والغاية من ذلك لبيان الحقائق وكشف اللثام عن ما أخفاه الأول متعمدا , وقد يفتح الباب للعديد من الدراسات المشابهة في مجال النقد التأريخي لا سيما أبان عصر المماليك . حاولنا إثبات أهمية الكتاب من خلال التحليل النقدي للنصوص التأريخية و أهمية الروايات والأحداث التأريخية في كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ومكانة الكتاب في بيان بعض الحقائق السرية والتي حاول البعض من المؤرخين تخطيها وعدم ذكرها خوفا على سيرة الظاهر بيبرس من التشويه حتى وإن كانت على سبيل الحق والحقيقة , فضلا عن أهميته لطلاب البحث في مجال التأريخ بصورة عامة والمهتمين في العصر المملوكي على وجه الخصوص. إستخدمنا في كتابة البحث التحليل النقدي للنصوص التأريخية من خلال الإعتماد على إسلوب المقارنة فضلا عن المنهج الإستقرائي من خلال تتبع الأحداث التأريخية وبيان صحتها من العدم .

تمهيد : نبذة عن الكتاب ومؤلفه

يسمى الكتاب أيضا بالمختصر كونه قد إعتمد في تأليفه على سيرة أولى قد ألفها خاله المؤرخ محي الدين بن عبد الظاهر , وأشار شافع بن علي إلى ذلك والى السبب الذي دعاه إلى التأليف , "أفتتح أيامه بنظم سيرة رتب فيها صور محاسنه صورة صورة وأرخ وقائعه التي هي من حقائق حسناته مسطورة ,فأطال وأطاب وخطب بأمتع خطاب وأتى على مجموع أيامه يوما يوما وصرح بمناقبه والى ابدائها أوما ,ولكن أقتضى الحال أن يثبت منها الغث والسمين" (المصري ، 1989، صفحة 56), وأشار أن تأريخ تأليفه للمناقب السرية كان بعد وفاة خاله محي الدين بن عبد الظاهر إحتراما له ورغبة منه بعدم إحراجه بمخالفته الرأي أو بذكره روايات قد تخطاها ولم يذكرها أو ذكرها بشكلها غير الصحيح البعيد عن الحقيقة (المصري ، 1989، صفحة 57) , وتمكنا أن نستدل أن وقت التأليف قد تم بالتحديد حتى بعد وفاة السلطان المنصور قلاوون , بذكره عباره تتبع إسمه وهي (رحمه الله) (المصري ، 1989، صفحة 37) (النعيمي ، 2024، صفحة 509), لم يذكر تأريخ إبتداءه بالتأليف إلا أنه ذكر سنة إختتامه للسيرة وللكتاب سنة (716 ه / 1316 م) (المصري ، 1989، صفحة 352) , وهنا وجدنا سبب الحرية وعدم التقييد في الكتابة والتأليف بكل جرأة بعيدا عن الخوف من السلطات الحاكمة بغياب بيبرس أو طمعا في كسب رضاه للحصول على المكاسب , فضلا عن عدم الإحراج من خالة فكان التأليف بعد وفاته إحتراما له كما أشار , وبين محقق الكتاب أهمية السيرة كونها تخدم الحقيقة قائلا : "رجا بكتابه هذا أن يخدم الحقيقة التأريخية التي عالجها جده في كتابه الروض وأحتسب

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

في ذلك وجه الله ولا شك أنه بجانب ما بذله من جهد وما سلكه من نهج قد خدم تأريخ هذه الحقبة ولم يأخذ أجرا على ما فعل" (المصري ، 1989، صفحة مقدمة المحقق 5) .

كان لا بد لنا من ذكر ترجمة حياة المؤلف شافع بن علي ووضعناها في التمهيد لبيان قرابة المؤلف من السلطة وإطلاعه على القضايا السياسية والأحداث البعيدة عن باق المؤلفين وهذا ما يعطي أهمية وقيمة علمية للكتاب موضع البحث .

شافع بن علي هو "ناصر بن علي بن عباس بن إسماعيل بن عساكر يلقب بالكناني ومن ألقابه المصري" (العسقلاني ، 1386 م، صفحة ج2/ 184) ؛ (المقريزي ، 1973، صفحة ج2 / 327) ولد عام(649 ه/ 1252) وتوفي عام (730ه / 1330 م) (العسقلاني ، 1386 م، صفحة ج2/ 184) ؛ (المقريزي ، 1973، صفحة ج2 / 327) والبعض قال سنة (733 ه / 1333م) , أشار في كتاباته أنه كان قريب للمؤرخ محي الدين بن عبد الظاهر (محي الدين بن عبد الظاهر بن رشيد الدين الجذامي (ت 296 هـ / 1292 م) عمل في مجال الفقه والقضاء وبرع في اللغة والأدب عمل في مهنة الكتابة وكان صاحب ديوان الإنشاء في سلطنة كل من السلطان بيبرس والسلطان قلاوون والسلطان الأشرف قلاوون , وكان من المستفيدين من هؤلاء السلاطين وقد دون سيرهم طمعا في الكسب المادي) (الكتبي ، 2000، صفحة ج3/ 45) ؛ (السيوطي ، 1967 م ، صفحة ج 1/ 560) ؛ (كحالة، د - ت ، صفحة ج 6 / 74)) , (اليوسفي ، 1986، صفحة 285) ولم يذكر درجة قرابته , وفي كتاب آخر من مؤلفاته أشار بصراحة ووضوح إلى ذلك قائلا "محي الدين بن عبد الظاهر خالي" (المصري ، 1998، صفحة 28) وكذلك "نادى مولانا السلطان كبيرنا الخال محي الدين أبن عبد الظاهر" (المصري ، 1998، صفحة 52) وهذا ما أكده العسقلاني (العسقلاني ، 1386 م، الصفحات ج2/ 185-186).

عمل شافع بن علي في بداياته مساعدا لخاله محي الدين عندما كان الأخير يشغل منصب ديوان الإنشاء (المصري ، 1989، الصفحات 271- 284) وإستمر بعمل المساعد زمن السلطان سعيد والسلطان بيبرس , ويذكر ان الذي توسط له للحصول على هذه المهنة هو الأمير سيف الدين بلبان الظاهري الرومي (من اعيان الأمراء كان الملك الظاهر يعتمد عليه في أسراره إستمر بحكم السلطان المنصور وعمل بمنصب الداويدار إستشهد بحمص سنة 680 هـ) (الصفدي ، 2000 م، صفحة 10 / 177) على الرغم من صغر سنه قال "هو الذي ندبني لخدمة السلطان وتحول عليّ في سر المكاتبات وجهرها على صغر سني وكبر قدر وسن من في الديوان" (المصري ، 1998، صفحة 49).

أصيب بسهم في وقعة حمص بين المماليك والمغول سنة 680 ه وعمي على أثرها وأصبح ملازم داره , كان محب للكتب جماعا لها ويقال إذا أراد كتابا عرف موضعه وإذا لمس كتاب عرف إسمه (الزركلي ،

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

1980، صفحة ج3 /152)وله العديد من المؤلفات والتصانيف بين المطبوع والمخطوط وهي : (ديوان شعره , وشنف الآذان في مماثلة تراجم قلائد العميان , و المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية و تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور , وسيرة المنصور قلاوون و وما يشرح الصدور من أخبار عكا وصور , وسيرة الأشرف خليل , وسيرة الناصر و ومناظرة إبن زيدون في رسالته) (الزركلي ، 1980، صفحة ج3 / 152), وغيرها الكثير , ومن المحتمل أن له شخص يساعده في مجال الكتابة والتأليف وهو فاقد لأهم نعمة من نعم الحواس التي يستخدمها المؤرخ في التأليف وهي حاسة البصر .

التحليل النقدي لنصوص كتاب المناقب السّرية

إستخدم شافع بن علي الإسلوب البسيط في التأليف بعيدا عن التعقيد وكانت طريقة الكتابة والتقسيم مشابهة إلى طريقة محي الدين بن عبد الظاهر , وحاول في مواضع قليلة إستخدام إسلوب السجع في الكتابة سيما عند ذكره أمجال بيبرس ومناقبه وبطولاته (المصري ، 1989، صفحة 291) .

تخللت كتاب شافع بن علي العديد من النصوص التأريخية التي تعد غاية في الأهمية وكشفت عن أسرار مخفية من سيرة الظاهر بيبرس تلك الشخصية التي طالما أهال عليها المؤرخين بمؤلفاتهم صور خيالية وحولت إلى شخصية شبه أسطورية شملت جميع خصال النبل من الشجاعة والكرم والفروسية وغيرها الكثير , وعمد هؤلاء المؤرخون حتى وإن كانوا على يقين بوجود جوانب من الخلل والتقصير في شخصية ذلك السلطان ؛ إلا إنهم أخفوها خوفا وخشية من غضب السلطان أو طمعا في كسب رضاه أو لعل المتأخرين منهم سلكوا مسلك التواتر العامودي بنقل النصوص و أنطلت عليهم ما وصف به الأولين سيرة بيبيرس , إلا أن هذا الشئ لا نجده عند قراءتنا لكتاب شافع بن علي كونه كتب بحرية كبيرة بعد وفاة السلطان , وأخذ جل مادة كتابه من سلفه محي الدين بن عبد الظاهر مع تصحيح وتشذيب النصوص المتلاعب بها , وحسبما يذكر أنه كتبها بعد وفاة صاحب السيرة الأول "فلم يتفق في حياته ولم يقع تأدبا معه في إثبات نفيه ونفي إثباته" (المصري ، 1989، صفحة 56)

أخفى إبن عبد الظاهر المدة الأولى من حياة السلطان خشية وخوفا من تذكير بيبرس بأصله وكيف جيء به صغيرا إلى مصر مع الأتراك المماليك للعمل في خدمة السلطان ,وتم بيعه هناك , فمن غير المعقول أن يكون ابن عبد الظاهر قد نسي تلك الجزئية المهمة من تأريخ حياة السلطان , هذا من جانب , ومن جانب آخر تعد مرحلة الطفولة من أوليات كتابة السير المفردة أو الفردية لدى الكتاب والمؤرخين ومن دونها تعد السيرة ناقصة , هنا تبرز أهمية الكتاب محل النقد فقد بين ذلك شافع بن علي وأشارة إشارة بسيطة إلى عمد سلفه من إخفاء تلك المرحلة العمرية من سيرة حياة السلطان إلا أنه حاول أن يجد له العذر بعبارة أخفاها "إجلالا له " (المصري ، 1989، الصفحات 57-58) أي إحتراما من أن يذكره بطفولته البائسة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

تكاد تتفق المصادر على إن السلطان بيبرس كان شديد الحذر والحيطة والحرص خوفا على عرشه , فكان لا يخبر أحدا بتحركاته وتوجهاته حتى أقرب المقربين له , على سبيل المثال الحادثة التي ذكرها شافع بن علي أنه "خرج متسللا من غير أن يشعر به إلى حلب فأقان بها يومان ولم يشعر به إلا وهو بالكرك ... ثم زار الخليل وأنفصل عنها متسللا وعسكره سائر متتابع ... ما كان أخف ركابه وأكثر تحيله وأصح تخيله وألم شخصه لقد فات الطيف وأتعب حتى رحلة الشتاء والصيف وأقول : كان نوابه في حذر من مهاجمته وخوفا من درك مبادرته هكذا هكذا وإلا فلا" (المصري ، 1989، صفحة 303), وقوله جرى على عادته أخفى مقاصده والتوجه بغيرها ولم يعلم أحد إلى إين" (المصري ، 1989، صفحة 299) وإتفق مؤلف السيرة الأولى أيضا بذلك , ذكر "وساق إلى دمشق ولما قاربها والناس لا يعلمون شيئا من حاله ولا يُدرى هل هو في شام أو حجاز أو غيره ولا يجسر أحد يتكلم" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 359).

لم يجرؤ محي الدين بن عبد الظاهر تدوين الأحداث التأريخية التي تظهر السلطان بيبرس بمظهر الغادر الظالم المعتدي على الحقوق , وذلك بسبب الخوف من غضب السلطان , ورغبة في كسب رضاه كون الغاية من تأليفه للكتاب هو المكاسب المادية مقابل إهداءه له أو للحصول على منصب أرقى في الدولة , لذا نرى أنه قد أخفى قضية إنقلاب السلطان بيبرس على المظفر قطز (السلطان الشهيد الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي ,كان أنبل مماليك المعز ثم صار نائب السلطنة لولده المنصور ,هزم التتار بمعركة عين جالوت ,ولم يكمل سنة في السلطنة ,إذ قتل سنة656 هـ / 1259م) (الذهبي ، 1993، الصفحات 23 , 195) ودلس على الحقيقة وقلب الطاولة لصالح بيبرس , ولم يبين أن الحادثة التي وقعت هي جريمة قتل وغدر وإنتزاع لكرسي العرش بل صور الحادثة بكونها ضربا من الشجاعة والقوة وحسن الإدارة وقت الأزمات , فذكر خروج كلا من بيبرس وقطز إلى رحلة صيد سنة 658 هـ 1259 م , وأثناء تلك الرحلة ضرب بيبرس الأخير من دون مشاركة أو مساعدة أحد وكان هو الضارب الوحيد , محاولا الوصول إلى قانون مفاده "من قتله فهو أحق بمكانه" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 96) نلاحظ هنا التناقض لدى شخصية المؤرخ إبن عبد الظاهر مع كونه رجل قانون ودين إذ كان قاضي وفقيه , إلا أنه تغلبت عيه النزعة النفعية والدنيوية سعيا في الحصول على المكاسب المادية والتقرب للسلطان بشتى الأساليب . أعاب صاحب المناقب السرية على خاله ذكره هذه الحادثة ووصفها بالغير صحيحة والمبتورة والزائفة , كون الشخص الأول الذي بدأ بضرب قطز هو مساعد قطز السلاح دار بالإتفاق مع بيبرس وكانت الضربة الثانية بيد بيبرس (المصري ، 1989، صفحة 317), هنا تتبين أهمية الكتاب بإظهار الحقائق والوقائع الصحيحة كون المؤلف دون بعد وفاة بيبرس أولا وفضلا عن أنه كان معاصرا لتلك الأحداث , ومن المحتمل أنه عمد تأخير كتابة هذا الكتاب حتى وفاة بيبرس خوفا من العقوبة , ويكمل ما بدأه بتتمة قائلا "وعاد عليه الملك الظاهر فأتم قتله ودفن بمكانه بثيابه ولم

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يعرف قبره إلى الآن" (المصري ، 1989، صفحة 66), وعند مراجعة تلك الحادثة عند بقية المصادر نجدها مطابقة مع ما ذكره شافع (الذهبي ش.، 1999، صفحة ج 48 / 65) ؛ (النويري ، د-ت، صفحة 29 / 478) ؛ (الحنبلي، د - ت، صفحة 291) وقال آخر لم يكن شخص أو إثنين بل كان هناك مجموعة "فخامر عليه مجموعة من كان معه من الأمراء وكان على رأسهم الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري" (إبن عقيل ، د _ ت، صفحة 15).

بعد مضي عدة سنوات من إعتلاء بيبرس العرش وبالتحديد سنة (667 هـ / 1286 م) وصل رسل من المغول ,أرسلهم السلطان أبغا بن هولاكو (إبن عبد الظاهر ، 1976، الصفحات 339 - 341) حملوا معهم رسالة لم تعجب السلطان بيبرس في مضمونها وإسلوبها الكتابي و "فهم منه تنفسا ومعيرة بقتل الملك المظفر قطز...فأعاد الجواب بأشد من الأبتداء وقال إنما قتلت قطز لملكي فأن الملك ليّ بالأجماع" (المصري ، 1989، صفحة 294), كتب محي الدين بن عبد الظاهر بإسلوب المتماشي مع رغبة السلطان بعد إطلاعه على رسالة أبغا بن هولاكو فهم من خلال تلك الرسالة كونه كان كاتب السلطان فثبت في كتابه ما كان يرغب به من المراسلات , وحاول إيجاد مخرجا لها حتى ولو من شريعة أو قانون آخر فهنا نجده لجأ إلى قانون المغول الياسا فذكر "وكيف يقع الإتفاق ونحن اليوم الياساه التي لنا هي أعظم من ياسا جنكيز خان وقد أعطانا الله ملك أربعين ملكا" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 341), الخوف الذي كان مسيطر على مؤلف السيرة الأولى جعل منها سيرة خالية من الحقائق التأريخية محشوة بالأكاذيب رغبة في الوصول لرضا السلطان ومن تلك الروايات التي إرتكبها محي الدين بن عبد الظاهر حول مقتل المظفر قطز وصياغة المبررات لتلك الجريمة ومنها أنه جعل الحادثة قضية آخذ ثأر "من جملة أخذه لثأر أخيه الأمير فارس الدين اقطاي من الملك المظفر ,و"وفى ما كان لفارس الدين أقطاي من الديون وعمّر له تربة قريب باب القاعة ووقف عليها وقفا يقوم بكلفها" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 79), نرى المصالح تجعل من الغدر وفاء وحفظ صحبة , أي وفاء واي صحبة والمطلع على الأحداث الدقيقة يشعر وكأن المكان غابة وقوانين الغاب هي المسيطرة .

لم يتوان بيبرس عن إزاحة أي شخص يشعر بخطره سواء كان هذا الشعور أو الحدس صحيح أم مجرد توهم ومن دون التأني في جمع الأدلة على ذلك , من تلك الحوادث التأريخية التي كشف اللثام عنها شافع بن علي متعجبا من خاله محي الدين بن عبد الظاهر التدليس عليها بعبارة "والصاحب محي الدين غمغم ههنا ولم يذكر شيئا منه" (المصري ، 1989، صفحة 71), على سبيل المثال الخطوات غير المدروسة من قبل السلطان بيبرس والتي لم تجني ثمارها لا بل راح تعبها مهب الريح وجاءت بنتائج عكسية وسلبية , ما قام به بزج الخليفة العباسي الملقب بالأسود بحرب خاسرة مع المغول راح ضحيتها الأخير إذ "جرد إليه جماعة

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

قتلوه وهزموا جيشه ولم يحصل منه إلا القليل" (المصري ، 1989، الصفحات 95-96), وبخطوة مدبرة تمت تصفية الخليفة العباسي بعد تغريره بهذه المواجهة الخاسرة الغير متكافئة إذ كانوا "شرذمة قليلة بالنسبة للتتار" (المصري ، 1989، صفحة 71), حقق بيبرس غاياته بمجرد شعوره بعدم الإرتياح من وجود الخليفة إذ يذكر إن الأخير قد "منع من الدخول إليه والإجتماع" (المصري ، 1989، صفحة 114) وإلا لم تصادفنا أي تحركات أو محاولات قد قام بها الخليفة يهدد بها عرش السلطان . هنا يتضح سر آخر من الأسرار الخفية التي كشفها لنا شافع بن علي من سيرة السلطان بيبرس .

جمعت الظاهر بيبرس والروم العديد من المواجهات والحروب , واحدة من تلك الحملات كانت بتحريض من معين الدين البروناه "غياث الدين بن مهذب الدين كان أبوه كان أبوه أعجميا سكن بلاد الشام , شغل معين الدين منصب الوزارة زمن علاء الدين صاحب الروم عظم أمره إلى أن استولى على ممالك الروم وصانع التتار وداراهم ,وكان من رجال العالم ودهاتهم نقم عليه أبغا ونسبه إلى أنه هو الذي شجع الملك الظاهر على دخول الروم وحصل ما حصل من قتل وتخريب ,فقتله ابغا وقطعت أوصاله وهو حي وألقي في المراجل وسلق وأكل المغول لحمه وهو في الستينات من عمره" (الذهبي ش.، 1999، صفحة ج5/ 226) سنة (673 ه / 1224 م) ذكرت العديد من المصادر (الصفدي ، 2000 م، صفحة ج15 / 249) ؛ (الكتبي ، 2000، صفحة ج1 /445) ؛ (إبن خلدون ، د - ت، صفحة ج5 / 392) فحوى الرسالة المرسلة من معين الدين إلى بيبرس بالنص من أن "معين سليمان البروناه كتب إليه وحرضه على قصد الروم...وذلك أنه لما ضاق البروناه من أجاي ابن هلاوون أخو أبغا وعزم أجاي على قتله فحمله الخوف على أن كاتب مولانا السلطان إلى بلاد الشام...فأفاق البروناه على نفسه فسير يقول لمولانا :أقصد هذه السنة سيس وفي السنة الآتية أملكك البلاد أن شاء الله ,فقصد مولانا السلطان سيس وغار عليها" (إبن شداد ، 1983، صفحة 107), نقل إبن عبد الظاهر حادثة غزو سيس مشيرا إلى أسباب أخرى غير المراسلة ومنها مخالفة حاكم مدينة سيس لشروط الهدنة وإمتناعه عن أرسال ما عليه مقرر من أموال وهدايا ,ولزيادة تماديه وظلمه على البلاد المجاورة فما كان من السلطان إلا أن "أنتخى للأمة وعادت الرحمة التي في قلبه على المذكور نقمة والمصالحة مكافحة والموادعة منازعة ,وأسر في نفسه قصده ولم يبده لأحد بل أظهر الحركة إلى بلاد الشام , وقرر عرض عسكره راكبين جميعهم في يوم واحد" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 432), بعد أن خرج بيبرس ووصل إلى بلاد الشام أفاق البروناه لنفسه وطلب من بيبرس تغير وجهته إلى سيس أولا وبعد ذلك يملكه البلاد , إلا إن محي الدين لم يبين ذلك , على العكس من مختصر السيرة , من هذه التفاصيل تبرز أهمية الكتاب بذكر الخفايا والأسرار وبين ما وراء الحدث وأسبابه المباشرة وغير مباشرة , هنا لا نعلم ما السبب الذي دفع شافع بن علي على حجب تلك الرواية , على الرغم من أن هناك العديد من المصادر ذكرتها

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

بالتفصيل وكما بينا أعلاه , يحتمل أن هناك العديد من الأسباب التي منعته من بيانها , نذكرها مع ترجيح السبب الأقرب , لعل السبب يعود في ذلك إلى إحترامه لخاله ومجاراته له في نقل السيرة وفي الحقيقة هذا سبب ضعيف إذ وجدناه في العديد من المناسبات قد لام سلفه لتدليسه الحقيقة فضلا عن أنه قد ألفها بعد وفاة الأول , ومنها أن يكون هذا الحدث لم يطلع عليه الظاهر بيبرس وقد جرت المراسلات بصورة سرية , هذا السبب أيضا غير مقبول عقلا كون محي الدين بن عبد الظاهر كان صاحب المراسلات الخاصة بالسلطان والمطلع الأول على ما يرد ويخرج من السلطان من كتب ومراسلات رسمية وغيرها , ويقتصر بذكر السبب وراء التوجه إلى سيس هو ل "كثرة فساد صاحب سيس وإستعانته بالتتار وقطع الطرقات ...فأعتد له السلطان وخرج له في جيش لا يسعه مكان في غاية التمكن والإمكان" (المصري ، 1989، صفحة 320), متغافلا من أن معين الدولة هو من "جسّر الظاهر على دخول الروم وحصل ما وقع" (الصفدي ، 2000 م، صفحة ج15/ 249) , والأعجب من ذلك بيان شافع بن علي سر تلك المراسلة بعد عدة سنوات أثناء تدوينه لسيرة سلطان آخر , نجده يسرد تلك الحادثة بأدق التفاصيل بقول "وأتفق ما أتفق من دخول الملك الظاهر قيسارية الروم لمكاتبات منه إلى معين الدين سليمان البرواناه النائب بها , ومراسلات وتوسلات وتوصلات وتحيلات وتنصلات فأن البرواناه هذا أنف التتار وأراد من جورهم الفرار ولاذ بل الإسلام وبملكه إستجار وأراد أن يكون من المهاجرين عندما توافيه الأنصار وترددت فيه المكاتبات ولانت فيه بالمسكنة المخاطبات , فحملها الملك الظاهر على أحوالها ولم يفكر في عقبى تقديراته ...وأما أبن البرواناه فلم يفِ بقوله ولا ثبت لورود العسكر المصري وهو له ورأى أن السلامة في ذهابه" (المصري ، 1998، الصفحات 35 -36) ولعل السبب وراء إفصاح شافع بن علي عن هذه المراسلة السرية في تلك الفترة هو لرغبته في بيان سلبيات ومثالب السلاطين الذين سبقوا السلطان المنصور صاحب السيرة الجديدة والسلطنة في وقتها والتزلف له, فضلا عن الأسباب التي بيناها بموت السلطان بيبرس وزوال عامل الخوف , و كذلك عامل المجاملة ومراعاته لقريبه محي الدين بن عبد الظاهر بعد وفاته .

من الروايات التأريخية المهمة التي ذكرت مقتضبة ومن دون بيان الأسباب الرئيسية والسرية كما يسميها شافع بن علي هي ما جرى بين ملكة بيروت وصاحب قبرص سنة 673 ه / 1274 م , وما وقع من حروب ومشادات كلامية بين الإثنين , وقيام ملك قبرص حسب رأي محي الدين بن عبد الظاهر بعمل "حيلة على صاحبة بيروت وأنه بلغها ووفاة زوجها جوا (تحت) البحر فطمع فيها وسيرها إلى قبرص وبقيت مملكتها بغير صاحب" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 447), أراد محي الدين بن عبد الظاهر تصوير صاحب قبرص بصورة الطامع بأملاك ملكة بيروت بعد موت زوجها , مريدا إبراز السلطان بيبرس بمظهر الحامي والمدافع عن الحق بموقفه من الملكة المغلوب على أمرها , وعندما نرجع إلى المناقب السرية نجد أن السبب

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الحقيقي لغزو ملك قبرص ومحاولته الإستيلاء على أملاك الملكة وأنها كانت "مطلوبة ديون كثيرة كانت على زوجها وترددت الكتب في هذا المعنى بين الجهتين إبتداء وجوابا" (المصري ، 1989، صفحة 66).

جمعت الظاهر بيبرس العديد من العلاقات مع الأفرنج من حروب وصلح وهدنة لإيقاف تلك الحروب ,وعند قراءة سيرة السلطان بيبرس يلاحظ قيامه بخرق بنود الهندنة متى ما أحس بالقوة والغلبة على نظيره الآخر فأنه يعمل على خرق الشروط والإلتزامات , وعلى سبيل المثال ما حدث سنة 661 ه/ 1262 من خرق الهدنة المعقودة مع الأفرنج بحجة أن هم من لم يلتزموا ببنود الهدنة وشروطها وكان من بين الشروط عدم البناء على أرض أرسوف وقيامهم ببناء ربض هناك (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 153), أوجد محي الدين هنا العذر لسيده بنقضه الهدنة , وبعد كشف الأسرار في المناقب السرية نجد أن نوع البناء هو سور (المصري ، 1989، صفحة 118) وليس ربض كما دون إبن عبد الظاهر كانت الغاية منه دفاعية لصد هجمات المسلمين (المصري ، 1989، صفحة 33).

ومن الخفايا السرية التي حفظتها لنا السيرة المنتزعة هي حادثة وقعت زمن السلطان بيبرس أيام سلطنته وهي : سبق وأن أشرنا أن بيبرس ولم يكن يعامل أتباعه من رجال الدولة بمعاملة واحدة أو أسلوب ثابت , بسبب عامل الشك وإنعدام الثقة التي كانت مسيطرة على تصرفاته , ومن تلك القصص ما حدث للأمير سنقر الرومي وأنه "كان مؤاخي للملك المظفر في الخدمة الصالحية وكان من أقرب الأصدقاء للسلطان منذ الطفولة , وكان السلطان يتفقده بالمال والقماش , توفي سنة 676 هـ" (النويري ، د-ت، صفحة ج 3/ 220) إذ كان من أصدقاء السطان المقربين , وكان نديمه ورفيق دربه , إلا أن ذلك الود والإخاء تغير وتبدل بسبب "ذنوب كثيرة سلفت منه" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 183), دون الإفصاح عن ماهية تلك الذنوب التي اقحمت صدر السلطان على صديق الطفولة منذ أن كانوا في الخدمة الصالحية , ويكمل إبن عبد الظاهر ما بدأه بأن السلطان بيبرس عفا عن شمس الدين سنقر وتناسى ما بدر منه من آثام وذنوب , إلا أنه جدد الغضب وحرك عليه غضب السلطان بعد حادثة هروب خادم له وإستجارته بالسلطان , وقياس السلطان بحمايته وأخذ تعهدات من سنقر الأشقر بعدم معاقبته والعفو عنه , إلا أنه فيما بعد سمع بمعاقبة الغلام إلى حد الموت بعد كويه بالنار , وبهذا تجدد غضب السلطان (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 183), بهذه العبارات ينهي إبن عبد الظاهر الرواية ويأتي دور شافع بن علي للكشف عن الخفايا والأسرار مشيرا إلى السبب الذي عكر صفو الصداقة بين بيبرس وسنقر بقوله "ان الذنب الذي أوجب للمملوك ذلك أنه كان عينا على أستاذه للسلطان" (المصري ، 1989، صفحة 210) بسبب خوف السلطان وعدم ثقته حتى بأقرب رجالاته أحجب صاحب السيرة الأولى عن ذكر السبب الرئيسي وراء المعاملة القاسية ومن أنه كان قد عين جاسوسا من خواص سنقر للتجسس لصالح السلطان , وبعد معرفة سنقر بخيانة خادمه عاقبه حتى الموت .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

من الوسائل التي تقرب السلطان أو الحاكم إلى ابناء العامة من الشعب هو رضا السلطات الدينية في البلاد و وما للشخصيات الدنية من الدور البارز والمؤثر على الأفراد , فمتى ما كان هنالك نفور بين رجال الدين والسلطان تبادر إلى الأذهان أن ذلك السلطان لا يطبق القانون السماوي ولا العدالة في الحكم (عبد علي و جاسم ، 2022، صفحة 401) , حفظت لنا المناقب السرية نص مفاده عدم إستقرار العلاقة بين السلطات الدينية والسياسية زمن الظاهر بيبرس , في سنة 661 ه / 1262 م , خرج السلطان إلى الإسكندرية , وخلال تلك الزيارة وقعت حادثتين أمتنع إبن عبد الظاهر عن ذكرهن , عند وصول بيبرس إلى الإسكندرية طلب مقابلة الشيخ صالح القباري (محمد بن منصور بن يحيى بن أبي القاسم القباري كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويرد الولاة عن الظلم يأتمر بأمره كبار رجال الدولة" توفي 662 هـ / 1264) (النويري ، د-ت، صفحة ج 30 / 88) ؛ (إبن كثير ، 1988، صفحة 13 / 282) ؛ (الزركلي ، 1980، صفحة ج6 / 323) إلا أن الأخير رفض الحضور وكرر السلطان الطلب مرة ثانية متذللا متواضعا وبعد أن سمح له الشيخ "نظر إليه ودعا له ووصاه بالمسلمين خيرا وأنصرف" (المصري ، 1989، صفحة 132), يحتمل أن سبب رفض الشيخ مقابلة السلطان هو للتعبير عن عدم الرضا من تصرفات السلطان وإدارته للبلاد , حذفت هذه الرواية من السيرة الأولى , والحادثة الثانية وقعت في نفس وقت وايام زيارة السلطان للاسكندرية وبعد حضور السلطان صلاة الجمعة صعد خطيب المنبر وكان شجاعا لا يخاف في الله لومة لائم و "كان السلطان جالسا تحت المنبر أبرق وأرعد ونبه من المحاذير والظلم أيما تحذير ونبه إلى أن للظالمين النار وبئس المصير" (المصري ، 1989، صفحة 305) بعد إنتهاء الخطبة أستدعي الخطيب من قبل الوزير وتم تأنيبه بكلام قاس , ثم أمر بعزله , وفي يوم الجمعة من الأسبوع الثاني حضر بيبرس إلى جامع الإسكندرية , وأرتقى المنبر خطيب ثاني غير الأول , وأخذ بالأطراء والمبالغة بمدح السلطان , وبعد إنتهاء الخطبة وسؤال السلطان عن الخطيب الأول قيل له "إستبدل ظنا أن السلطان لم يكن راض , فقال السلطان يعاد ذلك الخطيب فأنه صاحب حق وهذا الخطيب مرائي" (المصري ، 1989، صفحة 305) , أبدى شافع بن علي إستغرابه من تخطي إبن عبد الظاهر هذه الرواية والتي هي بالأساس تصب في مصلحة السلطان ومن محاسن سيرته وبحسب تعبيره "أجمل ما تطرز سيرته" (المصري ، 1989، صفحة 134) لربما أخفاها كونها وقعت في نفس سفرة الأسكندرية وإمتناع الشيخ مقابلة السلطان وحرصا من المؤرخ من تذكير بيبرس بهذه الحادثة علها تزعجه , وإكتفى بقول إن السلطان خرج في تلك السنة إلى الإسكندرية لأجل التفقد والتنزه (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 218), وفي الحقيقة كان جوهر السفرة من أجل دراسة أحوال الأفرنج ومراقبة تحركاتهم (المصري ، 1989، صفحة 136).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

من تحليل النصوص أعلاه تتبين أهمية كتاب المناقب والكشف عن السيرة المنتزعة بذكر الجوانب السرية منها , حسبما أشار اليها مؤلف الكتاب , ووجب أن ننوه أن شافع بن علي لم يكن يبغض أو يكره السلطان بيبرس , لا بل على العكس , إذ وجدناه من المؤيدين له في حياته وبعد مماته حتى فترة تأليفه كتاب السيرة وجدناه في عدة مناسبات يصف السلطان بأجمل الأوصاف وأنبل الصفحات الحسنة ومنها "ولما كان خلد الله سلطانه بهذه المهابة وقد فتح الفتوحات التي أجزل الله بها أجره وعم ثوابه وله أولياء كالنجوم إنارة وضياء وكالأقدار نفاذا ومضاءا وكالعقود تناسخا وكالويل تلاحقا إلى الطاعة وتسابقا , وكالنفس الواحدة عبودية له وتصادق" (المصري ، 1989، صفحة 192) حتى أنه شبه أتباع السلطان بالعبيد من درجة الطاعة وهذا النص قد إستله من سلفه الذي ذكر إن "الله قد شرف المملوك بعبودية مولانا والله أعلم حيث يجعل رسالته" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 545)وأضاف الأول قولا "وأشرفها عبودية كرمت سليمان بأنه جعله من أهل البيت" (المصري ، 1989، صفحة 331), وفي مناسبة أخرى يرجع سبب النصر لوجود السلطان "لولا سيوفك لم يكن للإسلام طالب" (المصري ، 1989، صفحة 216)مقتبس هذا النص أيضا من السيرة الأولى كذلك قوله "ونصر الإسلام بنية هذا السلطان الذي تنصره الملوك والملائكة وتمده السماء تارة بشهابها المحرقة وتارة بأمطارها وثلوجها المتداركة وتهزم جميع الأعداء بأخبار عزائمه المباركة زاده الله سلطانا إلى سلطانه وهزم الشرك بإيمانه" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 193).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

لقرب كل من محي الدين بن عبد الظاهر وشافع بن علي من السلطان بيبرس كونهم عملوا في وظيفة الكاتب الرسمي للدولة فقد نقلا لنا نصوص متفق عليها حول قضايا خاصة بشخص السلطان ومنها الهوايات , إذ عرف عن السلطان بيبرس حبه وولعه بلعبة الرماية , وذكر في سنة 671 هـ / 1272 م وزع الهدايا والتشاريف لكل من يحضر هذه اللعبة (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 204) و "أمر بالأدمان في رمي النشاب واللعب بالرمح سائر الجيش الأمير والمأمور" (المصري ، 1989، صفحة 259).

من الطبيعي أن ترافق أعمال الفتوحات والتوسعات أنواع متعددة للخسائر سواء البشرية أو المادية ومن كلا الطرفين نتيجة تحركات الجيوش العربية وفي بعض الأحيان تكون تلك الخسائر غير مقصودة , وحذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام الجيوش الإسلامية من أعمال التخريب قائلا "أغز بأسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ولا متبتلا في شاهق ولا تحرقوا النخل ولا تغرقوه في الماء ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تحرقوا زرعا لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلا ما بدا لكم من أكله" (الكليني ، 1363، صفحة ج5 / 29) ؛ وأيضا من قطع سدرة صوب الله رأسه إلى النار" (المجلسي ، د - ت، صفحة ج 63 / 3) والذي يهمنا هنا هو نقد كتاب المناقب السرية إذ أنه بين تلك الأعمال التخريبية المصاحبة للفتوحات زمن

الظاهر بيبرس بكل التفاصيل دون قيد أو ووجل بالعكس من السيرة الأولى لبيبرس كون مؤلفها أراد من وراء ذلك التأليف منافع ومكاسب دنيوية فمن غير المعقول أن يشير إلى ذكر المثالب حتى وإن كانت واضحة وضوح الشمس , لا بل على العكس كان يذكرها على أنها حسنات ومناقب وعلى سبيل المثال ما حدث سنة 666 هـ / 1267 م ضمن أعمال فتوح مدينة يافا (مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا ضمن الأقليم الثالث , وقيل أنها بلد قحط أفتتحها صلاح الدين الأيوبي سنة 583 هـ / 1178 م وأستولى عليها الأفرنج سنة 587 هـ /1191 م وأستعادها منهم الملك الثالث أبو بكر العادل ايوب سنة 593 هـ / 1193 م وخربها. (الحموي ، 1979، صفحة ج5 / 246) طرز لوحة من التفاخر وصف بها تخريب القلعة قائلا "وأخذ من أخشابها وألواح رخام وجدت فيها واوسق بها مركبا وأرسله إلى القاهرة ورسم بعمل ذلك الخشب مقصورة في الجامع الظاهري بالحسينية والرخام لمحرابه فعمل ذلك" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 293)أراد إبن عبد الظاهر تغطية أفعال سيده البعيده عن الدين وأنه لم يخرب ذلك التخريب ولم يحدث ذلك الدمار إلا لأنه أراد إعمار بيوت الله من الجوامع , فهل يجوز التبرع لأعمال الخير بأموال مغصوبة ؟ ويؤكد على أن السلطان أمر ببناء الجوامع والمساجد بهذه البلاد وإظهار شعائر الإسلام وإزالة المنكرات منها , وكذلك ما حدث في عسقلان مدينة من أعمال فلسطين على ساحل البحر يقال لها عروس الشام كما يقال لدمشق كذلك (الحموي ، 1979، صفحة ج 4 / 112) "في سابع صفر من هذه السنة (669 ه / 1270 م) توجه السلطان إلى عسقلان وعفا آثارها ورمى حجارتها في مبناها" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 373)وقوله "كان الملك الظاهر قد توجه من جهة بعلبك ووصل طرابلس فقتل من رعاياها وأسر" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 357)صور هنا عمليات التخريب من التدمير والقتل والأسر وكأنها صورا من صور الفروسية والشجاعة , ولو حاولنا الرجوع بالأحداث التأريخية مدة ليست بالبعيدة وفتشنا عن سبب تلك الغارات والحملات لوجدنا السبب لا يحتاج إلى كل هذا التدمير والخراب , وهو أن أحد غلمان السلطان المقربين قتل داخل تلك الأراضي وراد بعد ذلك السلطان أخذ الدية بحملاته تلك , وبعد كل ما جرى وأعاث في البلاد راسلهم قائلا : أن "قمتم بديته أستمرت الهدنة" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 282)وتمت الدية بمقدار خمسة عشر ألف دينار صورية , وبعدها زج بين السطور عبارات منمقة رنانة محاولة منه تغطية هذه الجرائم قائلا "مباشرة عمارة صفد بنفسه أما راكبا وإما راجلا وإما عاملا بيده وإما بنقل الحجارة فنجز حفر الخندق وأمر بحفر المجائر وقسم على الأمراء وغيرهم ونقلت الأخشاب للوقود وما وفر نفسه في شئ من ذلك ونقل السلطان الأحطاب على فرسه" (إبن عبد الظاهر ، 1976، صفحة 258), وهنا تتجدد أهمية كتاب المناقب السرية بكشف العديد من الأسرار والتدوين بحرية بعيدا عن الخوف وبيان الحقيقة كما هي دون تلميع أو تغطية , قال "وأخذ في النهب والحريق والقتل والسفك" (المصري ، 1989،

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

صفحة 119) وعند ذكر فتح الحصون "كحصن الأكراد وطرابلس وعكة وصور وأحرق وملك بعض قلاع هذه النواحي كحلب وعرق أسر ونهب وقتل وأرعد وابرق" (المصري ، 1989، صفحة 222) وكذلك "فتوجهوا موغلين في القتل والأسر وخراب الديار وتعفية الأثار" (المصري ، 1989، صفحة 216) وذكر ما يخص حصون صفد "أمر العسكر بهدم ما حولها من العمائر وقطع الأشجار والكروم وكانت عامرة على أهلها فجعلها للوقت خرابا يبابا وعاد لتكملة خراب قيسارية" (المصري ، 1989، صفحة 182)و "أمر السلطان فرمي فيهم السيف وقتلوا عن آخرهم" (المصري ، 1989، صفحة 226)شدد وكرر شافع بن علي على ذكر مفردات تدل على الدمار والخراب وأشار بكل صراحة إلى أعمال السلطان الخارجة على الدين والقانون , كثير من صور التخريب والدمار تتكرر في سياسة بيبرس فلم يكن يفرق بين المذنب والبرئ وكانت الإبادات الجماعية نتاج حملاته كحملاته على العربان "ساق فأوقع بالعربان أشد النكال وأحل الحلائل وفتك بالرجال" (اليوسفي ، 1986، صفحة 404)و "أستأصلهم وبدد شملهم ونهب أموالهم" (المصري ، 1989، صفحة 104), هنا تتضح شجاعة شافع بن علي بالنقد وبيان سياسة السلطان وشخصيته الحقيقية بعيدا عن الأساطير والتبجيل الغير حقيقي والذي حول بيبرس إلى شخصية أشبه بالخيالية وبالتالي تبرز عدنا أهمية كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية بإعتباره مصدر قريب تحلى مؤلفه بالحيادية والصدق عدم التزلف للسلطان وحفظ لنا العديد من الحقائق التأريخية المغيبة .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الخاتمة

في نهاية البحث توصلنا إلى العديد من النتائج

- الدراسات النقدية هي الأصل في الدراسات التأريخية , كونها تميز بين الغث والسمين فيما كتبه المؤرخين في العصور الغابرة .
- يعد كتاب حسن المناقب السرية كورقة كشف المستور من سيرة الظاهر بيبرس , وتكشف اللثام وتزيح الغبار عن ما تستر عليه وأخفاه الكثير من المؤرخين ممن دون للظاهر بيبرس وجعلها شخصية خيالية إسطورية أكثر من كونها حقيقية بما ألحق بها من صفات نبيلة وإنجازات عظيمة .
- توصلنا على إن شافع بن علي المصري كان صادق فيما دون وكتب وذلك بالمقارنة ما ما كتبه الآخرون في باقي المؤلفات التأريخية لا سيما وأن أغلبهم كان قريب العهد بفترة حكم المماليك .
- تعد السيرة المقصودة أصدق ما كتب عن وصف السلطان بيبرس , والذي مكنه بأن يكون بهذه الشجاعة والحيادية هو الزمن الذي نستطيع أن نصفه بأنه كان نوعا ما تسوده الحرية , فقد بدأ بالتأليف بعد وفاة بيبرس فلم يكن خائفا من العقوبات التي كانت من المحتمل أن تلحق به لو كان السلطان موجود , فدونت السيرة بقدر

كبير من الحياد إذ لم يكن يطمع مؤلفها بمكاسب مادية مثلما يفعل أغلب من دون في مجال كتب السيرة المفردة والغاية من التأليف هي كسب رضا السلاطين واصحاب السير .

●لم يكن شافع بن علي ناقما على شخص السلطان بيبرس , بل على العكس كان من المقربين من كتّاب السر والداودارية الخاصين بالسلطان والمستفيدين من عطاياه , وهذا عامل آخر يعضد أهمية السيرة كون كاتبها كان قريب من الأحداث وشخص السلطان , ووجدناه في اكثر من مناسبة بين وذكر محاسن السلطان وإيجابياته مبديا إعجابه بشخص السلطان في مواضع كثيرة من الكتاب .

●الكتاب يسمى أيضا ب (المختصر) كون شافع بن علي قد إعتمد على كتاب آخر لسيرة الظاهر بيبرس من تأليف خاله محي الدين بن عبد الظاهر , وهذا ما أشار إليه هو في عنوان كتابه بكلمة (المنتزعة) إلا إننا بعد التمعن بقراءة الكتاب لاحظنا إن هناك فرق شاسع بين الكتابين , فالأول كان معاصرا للسلطان طالبا رضاه حتى وإن كان على حساب الحق والصدق والحياد وهي أهم صفات المؤرخ الجيد , والثاني كان بعيدا عن ذلك وكتب لأجل توضيح الحقائق المغيبة وأشار إلى ذلك أيضا بكل صراحة في عنوان الكتاب بذكره جملة (المناقب السرية) , وحرص أن يعلن عن إكماله للتأليف وللسيرة بعد وفاة خالة خوفا من الوقوع في الحرج ومن باب الأدب والإحترام وهذا ما بيناه في متون البحث.

●توصية بضرورة التوسع والإكثار من الدراسات النقدية لأنها أساس علم التأريخ فليس كل ما دون هو صحيح ومقبول , فمن خلال البحث والتقصي والمقارنة تظهر الحقيقة , والبحث عن الكتب التي لم تحظى بأهتمام القراء والباحثين عل أن تجد بها أسرار مخفية وتكشف بها عن حقائق مدلسة وهذا ما رصدناه في كتاب المناقب السرية ببيان شخصية بيبرس الحقيقية وما دارت من أحداث مهمة مغيبة عن قصد.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات

●محمد بن عقيل (القرن السادس الهجري)

- الدر النظيد في مناقب الملك السعيد أبي سعيد , دار إحياء التراث العربي (الرياض – د .ت)

ثانيا : المصادر

●الحموي , شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت 626 هـ)

- معجم البلدان , دار إحياء التراث العربي (بيروت – 1979)

●الحنبلي , عبد الحي بن أحمد بن محمد إبن العماد (ت 1089هـ)

- شذرا الذهب في أخبار من ذهب , دار إحياء التراث العربي (بيروت – د _ ت)

●إبن خلدون , عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ)

- العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر , دار إحياء التراث العربي (بيروت – د .ت) .

●الذهبي , شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ)

- تأريخ الإسلام , تحقيق حسن إسماعيل ومحمود الأرناؤوط (د .م – 1999)
- سير أعلام النبلاء , تحقيق حسين الأسد وشعيب الأرناؤوط , (بيروت – 1993)

●السيوطي , جلال الدين بن عبد الرحمن (ت 911 م)

- حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة , تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (د .م – 1967)

●إبن شداد , عز الدين بن شداد (ت 684 هـ)

- تأريخ الملك الظاهر , تحقيق أحمد حطيط , مركز الطباعة الحديثة (بيروت – 1983)

●الصفدي , صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764)

- الوافي بالوفيات , تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى , دار إحياء التراث (بيروت – 2000 م)

●ابن عبد الظاهر , محي الدين بن عبد الظاهر (ت 692 هـ)

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر , تحقيق عبد العزيز الخويطر (الرياض – 1976)

●العسقلاني , أحمد بن علي بن حجر (ت 852 هـ)

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة , تحقيق عبد الوارث محمد علي , منشورات محمد علي بيضون (القاهرة – 1386)

●الكتبي , محمد بن شاكر الكتبي (ت 764 ه -)

- فوات الوفيات تحقيق علي محمد بن يعوض الله , دار الكتب العلمية (بيروت – 2000)

●إبن كثير , إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ)

- البداية والنهاية , تحقيق علي شيري , دار إحياء التراث العربي (بيروت – 1998)

●الكليني , محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت 329 هـ)

- الكافي , تحقيق علي أكبر الغفاري , دار الكتب الإسلامية (طهران – 1363)

●المصري , شافع بن علي بن عباس المصري (ت 649 هـ)

-حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية , تحقيق ونشر عبد الله عزيز الخويطر (الرياض – 1989)

- الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور سيف الدين والدنيا سلطان الإسلام والمسلمين أبي الفتح قلاوون خلد الله سلطانه , تحقيق عمر عبد السلام تدمري , المكتبة العصرية (بيروت – 1998)

●المقريزي , تقي الدين (ت 845 ه)

- السلوك لمعرفة دول الملوك , تحيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور , دار الكتب المصرية (القاهرة – 1973)

●النويري , شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

- نهاية الأرب في فنون الأدب , وزارة الثقافة والإرشاد (القاهرة – د .ت)

●اليوسفي , موسى بن محمد بن يحيى (696 هـ)

- نزهة الناضر في سيرة الملك الناصر , تحقيق الدكتور أحمد حطيط (بيروت – 1986)

ثالثا : المراجع

●كحالة , عمر رضا

- معجم المؤرخين , دار إحياء التراث (بيروت – د .ت)

●المجلسي , الشيخ محمد باقر (ت 1037 هـ)

- بحار الأنوار الحامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (بيروت – د.ت)

●الزركلي , خير الدين (ت 1369)

- الأعلام , دار العلم للملايين , (بيروت – 1980)

ثالثا : الأبحاث المنشورة

شذى غالب حسن النعيمي م. . (2024). أسباب الغلاء في مصر في العصر المملوكي وتداعياته648-784هـ/1250-1282م . *واسط للعلوم الانسانية* مجلة https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss3.627 .522-501 ,(3)*20* ,

علي حسام عبد علي م & .,عطا سلمان جاسم د. (2022). الأساليب والطرق التي استخدمتها السلطة المملوكية لدرء الثورات والتمردات (648-923هـ .(*لارك* https://doi.org/10.31185/lark.Vol4.Iss47.1829 .414-401 ,(5)*14* ,

List of sources and references

First: Manuscripts

• Muhammad ibn Aqil (6th century AH) - Al-Durr Al-Nazid fi Manaqib Al-Malik Al-Saeed Abu Saeed, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi (Riyadh - n.d.) Second: Sources

• Al-Hamawi, Shihab Al-Din Abu Abdullah Yaqut (d. 626 AH) - Mu'jam Al-Buldan, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi (Beirut - 1979)

• Al-Hanbali, Abd Al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Al-Imad (d. 1089 AH) - Shudhra Al-Dhahab fi Akhbar Man Dhahab, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi (Beirut - n.d.) • Ibn Khaldun, Abd Al-Rahman ibn Muhammad (d. 808 AH) - Al-Ibar wa Diwan Al-Mubtada wa Al-Khabar wa Man 'Asarahum min Dhat Al-Sultan Al-Akbar, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi (Beirut - n.d.)

• Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman (d. 748 AH) - History of Islam, edited by Hasan Ismail and Mahmoud al-Arnaout (d.m. - 1999) - Biographies of the Noble Figures, edited by Hussein al-Asad and Shuaib al-Arnaout, (Beirut - 1993)

• Al-Suyuti, Jalal al-Din ibn Abd al-Rahman (d. 911 AD) - A good lecture on the history of Egypt and Cairo, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim (d.m. - 1967)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

• Ibn Shaddad, Izz al-Din ibn Shaddad (d. 684 AH) - History of King al-Zahir, edited by Ahmad Hattit, Modern Printing Center (Beirut - 1983)

• Al-Safadi, Salah al-Din Khalil ibn Aybak (d. 764) - Al-Wafi bi al-Wafiyat, edited by Ahmad al-Arnaout and Turki Mustafa, Dar Ihya al-Turath (Beirut - 2000 AD)

• Ibn Abd al-Zahir , Muhyiddin ibn Abd al-Zahir (d. 692 AH) - The Blossoming Garden in the Biography of King al-Zahir, edited by Abd al-Aziz al-Khuwaitir (Riyadh - 1976)

• al-Asqalani, Ahmad ibn Ali ibn Hajar (d. 852 AH) - The Hidden Pearls in the Notables of the Eighth Century, edited by Abd al-Warith Muhammad Ali, Publications of Muhammad Ali Baydun (Cairo - 1386)

• al-Kutbi, Muhammad ibn Shakir al-Kutbi (d. 764 AH) - Deaths of Deaths, edited by Ali Muhammad ibn Ya`wad Allah, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah (Beirut - 2000)

• Ibn Kathir, Ismail ibn Kathir al-Dimashqi (d. 774 AH) - The Beginning and the End, edited by Ali Shiri, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi (Beirut - 1998)

• Kahala, Omar Reda - Dictionary of Historians, Dar Ihya' al-Turath (Beirut - n.d.)

• al-Kulayni, Muhammad ibn Ya`qub ibn Ishaq (d. 329 AH) - Al-Kafi, edited by Ali Akbar Al-Ghafari, Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah (Tehran - 1363)

• Al-Majlisi, Sheikh Muhammad Baqir (d. 1037 AH) - Bihar Al-Anwar Al-Jami'ah li-Durar Akhbar Al-A'immah Al-Athar (Beirut - n.d.)

• Al-Masri, Shafi' bin Ali bin Abbas Al-Masri (d. 649 AH) - The Good Secret Virtues Extracted from the Zahiri Biography, edited and published by Abdullah Aziz Al-Khuwaiter (Riyadh - 1989) - The Inherited Virtues in the Biography of King Al-Mansur Sayf Al-Din and the World, Sultan of Islam and Muslims Abu Al-Fath Qalawun, may God perpetuate his rule, edited by Omar Abdul Salam Tadmuri, Al-Maktaba Al-Asriya (Beirut - 1998)

• Al-Maqrizi, Taqi Al-Din (d. 845 AH) - Al-Suluk li-Ma'rifat Dawul Al-Muluk, edited by Muhammad Mustafa Ziyadah and Sa'id Abdul Fattah Ashur, Dar Al-Kutub Al-Masriyyah (Cairo - 1973)

• Al-Zarkali , Khair ad-Din (d. 1369) - Al-A'lam, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, (Beirut - 1980) • Al-Nuwayri, Shihab ad-Din Ahmad ibn Abd al-Wahhab (d. 733 AH) - Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab, Ministry of Culture and Guidance (Cairo - n.d.)

• Al-Yousfi, Musa ibn Muhammad ibn Yahya (696 AH) - Nuzhat al-Nadhir fi Sirat al-Malik al-Nasir, edited by Dr. Ahmad Hattit (Beirut - 1986)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

Third: Published Research

Shaza Ghaleb Hassan al-Naimi M. . (2024). Causes of high prices in Egypt during the Mamluk era and its repercussions 648-784 AH / 1250-1282 AD. Wasit Journal of Human Sciences, 20(3), 501-522. https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss3.627 Ali Hussam Abdul Ali M., & Atta Salman Jassim D. (2022). Methods and approaches used by the Mamluk authority to prevent revolutions and rebellions (648-923 AH). Lark, 14(5), 401-414. https://doi.org/10.31185/lark.Vol4.Iss47.1829

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية